

الحرب والنساء عند العرب

د. فؤاد شيخ الدين عطا

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الخرطوم

قل ما سلم بيت من بيوتات العرب من سبي الخرائر في الجاهلية، ذلك أن الحرب التي كانت تقع بين قبائل العرب ترتب عليها غالباً سبي الخرائر، وربما تعذر تخليصهن من أيدي الأعداء حتى على الفرسان المعدودين كعمرو بن معدي كرب الذي كان قصاره أن قال:

أمن رِيحانة الداعي السميعُ * يُورقني وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
إذا لم تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعِه * وَجَاوِزَه إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وذلك حين سبي الصمة أخته ريحانة وأولدها دريداً الذي شن حرباً على الخنساء بسبب تمنعها على الزواج منه والحرب أولها كلام يقول لها:

فَلَا تَلِدِي وَلَا يَنْكِحُكَ مِثْلِي * إذا ما لَيْلَةٌ طَرَقَتْ بِنَحْسٍ
إذ كان شديد الاعتداد بنفسه يراها أهلاً للزواج من كل أنثى مهما علا شأنها ولعل الخنساء قد رفضت الزواج منه لكبر سنه وذلك قولها: "أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم..". فرد عليها بأنه لم يصدر في خطبتها عن سن صغيرة وإنما صدر عن أصل كريم ونفس أبية وأريحية عربية:

وَتَرَعُمُ أَنِي شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَهَلْ حَدَّثْتَهَا أَنِي ابْنُ أُمِّسِ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَرَاضِعُ مِنْ جُمَادِي * إذا اسْتَعْجَلْنَ عَنْ حَزِّ بِنَحْسِ
بَأني لَا أَيْتُ بَغِيرَ الْحَمِّ * وَأَبْدَأُ بِالْأَرَامِلِ حِينَ أُمْسِي
وَأني لَا يَهْرُ الضَيْفَ كَلْبِي * وَلَا حَارِي يَبِيتُ حَيْثُ نَفْسِي⁽²⁾

وكان الخوف على الأعراض مما يؤدي إلى الإغارة كما أن الأمن كان يغري

بالمخزو أيضا:

فَأَمَّا يَوْمَ لَا نَحْشَى عَلَيْهِم * فَنَمَعْنَ غَارَةً مَتَلَبِينَا
وَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِم * فَتَصَبَحُ خَيْلُنَا عَصَبًا ثَبِينَا⁽³⁾

وكانت المرأة مما تبعث على الحرب بل كانت تحت عليها وتشجع الرجل

وتوعده بأن تمنعه من نفسها إن لم يقدم:

يَقْتُنْ حَيَادَنَا وَيَقْلُنْ لَسْتُمْ * بَعُولَتْنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا⁽⁴⁾

وقد خرج المشركون يوم أحد بنسائهم ليكون ذلك أثبت لهم، وقادت هند بنت عتبة

جموع النساء يضربن بالدفوف ويغنين:

وَيْهَا بِنِي عَبْدَ الدَّارِ * وَيْهَا حُمَاةَ الأَدْبَارِ

ضربا بكل بتار

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ * وَنَفْرُشُ النَّمَارِقِ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقُ * فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ⁽⁵⁾

فهذا الوعد بالعناق خليق بأن يعثهم على الإقدام لأنهم إن لم يفعلوا منعوا مما يحبون.

وكانت الرغبة في وصل النساء والخوف من صرهمن والحرص على صوفهن مما يحمل

الرجال على الثبات والبلاء

- عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ * نُحَاذِرُ أَنْ نُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا
 أَخَذَنَ عَلَيَّ بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا * إِذَا لَاقُوا كَتَائِبَ مُعَلِّمِينَا
 لِيَسْتَلِينَ أَفْرَاسًا وَبِيضًا * وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا⁽⁶⁾

وقد تعلم قصة عمرو بن معد يكرب إذ انتفض وعزم وكر على الأعداء بعدما
 كاد يفر إذ رأى بعينه نساءه وقد أطلقن سيقاهن للريح خوف السي، فهو يقول:

- لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا * يَفْخَصُنَ بِالْمِعْزَاءِ شَدَا
 وَبَدَتْ لِمَيْسُ كَأَنَّهَا * بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَّكَدَى
 وَبَدَتْ مُحَاسِنُهَا الَّتِي * تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جَدَا
 نَزَلْتُ كَشْتَهُمْ وَلَمْ * أَرِ مِنْ تَزَالِ الْكَبْشِ بُدَا⁽⁷⁾

وروي عن معاوية رضي الله عنه أنه كان قد أجمع الفرار يوم صفين فما حمله
 على الثبات إلا أبيات ابن الاطنابة:

- أَبَتْ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بِلَاثِي * وَيَبْعِي الْحَمْدَ بِالثَمَنِ الرَّيْسِ
 وَإِقْحَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضُرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
 وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ * مَكَانَكَ تُحَمِّدِي أَوْ تُسَبِّحِي
 لِأَدْفَعُ عَنْ مَائِرِ صَالِحَاتٍ * وَأُحْمِي بَعْدَ عَنِ عِرْضِ صَاحِبِي⁽⁸⁾

وأهم مآثر قومه الصالحات هو الحفاظ المر!
 بل هو في مقدمة الحفاظ العربي وبسببه تقطع قلب عبد يغوث الحارثي بكاء على نفسه
 وزعم أنه لولا الحفاظ لنجا على ظهر فرسه:

ولو شئت بختني من الخيل نهدة * ترى خلفها الحو الجياد تواليا
ولكنني أحمي ذمار أبيكم * وكان الرماح يختطفن المواليا⁽⁹⁾

وقد جزع جزعاً شديداً عندما تجمعت نساء الأعداء حوله وهو أسير ذليل، وعهده
بنفسه من قبل قوياً أمام النساء مانعاً لهن فهو لذلك يستحضر صورة زوجته ويشهدها
على قوته وبأسه في زمان مضى:

وقد علمت عرسي مليكة أني * أنا اللئث معدواً على وعاديا⁽¹⁰⁾

وكذلك جزع الحارث بن وعله من أحاديث النساء عندما هرب ونجا يوم
الكلاب الثاني، وإن كان ظاهر أمره يدل على أنه لا يبالي بأحاديث النساء ما دام قد
نجا، فقد جعل أمه ونخالته فدى لرجليه اللتين أقتناه وأنجته من الموت:

فدى لكما رجلي أمي ونخالي * غداة الكلاب إذ تحزّ الدواب⁽¹¹⁾

هذا كأنه يخاف أن تبتدراه باللوم والتعنيف وأن تعيراه على هروبه فبادرهما بان جعلهما
فدى لرجليه، وفي الأبيات إحساس بالخلج وشعور بالعار حتى أنه يكثر مسن ذكر
تفاصيل هروبه ويسخر من نفسه ومن هارب آخر كان معه:

نحوت نجا لم ير الناس مثله * كأني عقاب عند تيمن كاسر
خدارية سفعاء لبد ريشها * من الطل يوم ذو أهاضيب ماطر
يقول لي النهدي إنك مردفي * وكيف رداف الفل أمك عابر
يذكرني بالرحم بيني وبينها * وقد كان في جرم وفهد تدابر⁽¹²⁾

فقد سخر من الرحم كما سخر من أمه وحالته من قبل، حمله على ذلك حالته النفسية السيئة المترتبة على شعوره بالعار اثر هروبه من المعركة. فهل ينتظر حتى تعبره النسلاء أم يبادرهن بالسخرية من كل علاقات الرحم؟

وقد تعلم أن النساء كن وراء أمر أحد، ويبدو أن هنداً أفلقت مضجع أبي سفيان وملائته وعداً ووعيداً حتى يثار لأبيها وأخيها وعمها الذين قتلوا يوم بدر، وقد كان سرور أبي سفيان عظيماً بهزيمة المسلمين في أحد فقال يخاطب هنداً:

فَبِكَيْ وَلَا تَرْعِي مَقَالََةَ عَادِرٍ * وَلَا تَسَامِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَجِيبِ
أَبَاكَ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا * وَحَقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ وَنَصِيبِ
وَسَلَى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْبِي * قَتَلْتُ مِنَ النَّجَارِ كُلَّ نَجِيبِ⁽¹³⁾

فوجه الحديث كما ترى إليها. يجدر بنا أن نشير إلى أمر هام وهو أن ابن هشام في سيرته شكك في نسبة أغلب الأشعار التي رواها على أنها نظمت حول بدر وأحد، فهو يورد غالباً بعد رواية الأشعار عبارته المألوفة "ومعظم أهل العلم بالشعر ينكرها" خلا آيات أبي سفيان سالفة الذكر فإنه لم يشكك في نسبتها إلى أبي سفيان، فتأمل كأنما أبو سفيان جيش الجيوش وحزب الأحزاب لأجل هند ولو لم ينتصر يومئذ لقريش لهزئت به نساؤها في مجالسهن، أو لشبهه كثيرون بالنساء كما فعل عقبة بن أبي معيط مع أميه بن خلف الذي كان أجمع على أن لا يخرج مع المشركين يوم بدر، وكان جسيماً منسق الهندام دائماً، فلقبه عقبة في المسجد على ملاء من قريش فجاء له بمحمر وقال له: "تحمراً فإنا أنت من النساء" فقذف أمية بالمحمر وحمي وتجهز وخرج مع الناس وقتل إثر المعركة⁽¹⁴⁾

وقد تخوف أبو البخترى بن هشام من أحاديث النساء يوم بدر، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي المسلمين عن قتله لأنه لم يكن يبلغه (ص) عنه. يمكنه قبل الهجرة ما يسوء، وكان من أرفق الناس بالمسلمين وهو على شركه أيام شعب أبي

طالب وقبلها، فضلاً عن أنه كان ممن سعى في نقض صحيفة الظلم والعدوان التي كتبها
الملا من قريش على بني هاشم وقاطعوهم بها. فلقبه بعض الصحابة وقصد إلى زميل له
بالشر فقاتل عنه أبو البخترى معرضاً نفسه للهلاك وآثر الموت على حياة يعير فيها
بخذلان زميله ويصبح فيها أحاديث نساء قريش: "لا تتحدث عني نساء مكة أي تركت
زميلي حرصاً على الحياة."⁽¹⁵⁾

فهو كما ترى لم يدافع عن زميله عن مبدأ يراه ولا عن دين يؤمن به ولا عن محض
شجاعة بل هو الخوف من أحاديث النساء، ولم يكن ليسلم من تعييرهن، كلا ولا من
ألسنة الشعراء ومن قبل ما عير حسان بن ثابت الحارث بن هشام وذكر هروبه يوم
بدر:

* تَسْقِي الضَّجِيعَ بِيَّارِدِ بَسَّامِ	* تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً
* وَاللَّيْلَ تُوَزَّعِي بِهَا أَحْلَامِي	* أَمَا النَّهَارَ فَلَا أَفْتَرُ ذَكَرَهَا
* وَلَقَدْ عَصَّيْتُ عَلَى الْهَوَى لُؤَامِي	* يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومٌ سَفَاهَةً
* وَتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الْأَيْسَامِ	* بَكَرَتْ عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ بَعْدَ الْكَرَى
* فَنَجَوْتُ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ	* إِنَّ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي
* وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِحَامِ ⁽¹⁶⁾	* تَرَكَ الْأَحْيَةَ أَنْ يِقَاتِلَ دُوهُمُ

هذه الخريدة التي تلح عليه فيذكرها ليل نهار ويعصي فيها عاذليه، ماله بأسى لها كل
هذا الأسى؟ فكأنه يني عن مشاعر القوم وأساهم لما فاتهم من سبي نساء قريش وقوله
"ونجوت منجي الحارث بن هشام" كالمشعر بالذي نقول. هذا وكان سبي نساء قريش
وشيكاً يوم أحد لولا أن ترك الرماة أماكنهم، فكان أن حزن على فوت سبي نساء
قريش هذه المرة أحد أولى العزم المبشرين، فقد روي ابن هشام عن الزبير أنه قال: "والله
لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن
قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر.." ⁽¹⁷⁾ فقد ذكر سبي النساء دون الكراع

والأدراع وأسر الفوارس كما تري! بيد أن سبي نساء قريش دونه الدم والمهج وشرخ القتاد، وقد أهدر رسول الله (ص) دم كعب بن الأشرف لتشبيهه بنساء المسلمين فسلب لقتله محمد ابن مسلمة وسلكان بن سلامة وأبو نائلة، وقد روي أن كعبا شجب بأمر الفضل زوج العباس بن عبد المطلب فقال:

أَرَأَجُلٌ أَتَتْ لَمْ تَسْرُحِلْ لِمَنْقَبَةٍ * وَتَارِكٌ أَتَتْ أُمَّ الْفَضْلِ بِالْحَرَمِ *

فأذن بحرب من الله ورسوله وأصبح من الخاسرين. بل حتى في الجاهلية الأولى خسرت حياته كل من سولت له نفسه التشبيب بالنساء ناهيك عن وصلهن وما نجا النابغة من الموت إلا بالهرب بعد أن شجب بالمتجردة زوجة النعمان بن المنذر حيث قال:

قَامَتْ تَرَأَى بَيْنَ سَجْفِي كِلْتَا * كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ
سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تَرِدْ إِسْقَاطَهُ * فَتَنَّاوَلْتُهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَسَدِ
بِمَخْضَبِ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ * عَنَّمْ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعَقِّدِ

في أبيات بها شيء من الوصف الحسي، جاء في كتاب الأغاني: "إن الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالسين عنده وكان النعمان دميماً أبرش قبيح المنظر وكان المنخل بن عبيد من أجمل العرب وكان يرمي بالمتجردة زوجة النعمان ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل. فقال النعمان للنابغة: يا أبا أمامة صف المتجردة في شعرك، فقال قصيدته التي وصفها فيها ووصف بطنها وروادفها. فلحقت المنخل من ذلك غيرة، فقال للنعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جربه. فوفر ذلك في نفس النعمان وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار في غسان"⁽¹⁹⁾. على أن المنخل نفسه كان يهوى هنداً بنت عمرو بن هند التي يقول فيها:

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا * وَهِيَ الْخَيْدَرُ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرُ * فُلُّ فِي الدَّمِ قَسٍ وَفِي الْحَرِيرِ

فَدَفَعْتُهَا فَتَدَا فَعَسْتُ * مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْعَدِيرِ
 وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَسْتُ * كَتَنَفَسِ الظُّبِي الْبِهِيرِ
 وَبَدَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَحَّ * لَ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ فُتُورِ
 مَا مَسَّ جِسْمِي غَيْرَ حُبِّ * كِ فَاهْدِي عَنَّا وَسِيرِي

وهذه الأبيات خليقة بأن تثير غيرة العربي فضلاً عن الملوك مما حمل ابن هند على قتل الشاعر الذي قال قبل أن يقتل وهو محبوس يحض قومه على طلب الثأر به:

طُلَّ وَسَطَ الْعِرَاقِ قَتْلِي بِلَا جُر * مِ وَقَوْمِي يَنْتَجُونَ السَّخَالَ⁽²⁰⁾

وهذا كأنه يسخر به من قومه بأنهم لا تبلغ مروءتهم إلا أن ينتجوا السخال، أو لعله أراد أن يثير حفيظة قومه وغيرهم فعسى أن ينقدوه. على أن رواية أخرى تذهب إلى أن طرفة بن العبد كان قد تغزل في هند هذه وأن ذلك كان سبب قتله، ذلك أنه كان ينادم عمرو بن هند يوماً وهو ممسك بالكأس بكلتا يديه فدخلت هند فارتسمت صورتها على حافة الكأس فقال مرتجلاً:

أَلَا يَا ثَانِي الظُّبِي الَّذِي يَبْرُقُ شَنْفَاهُ
 وَلَوْلَا الْمَلِكُ الْقَاعِدُ قَدْ أَلْتَمَنِي فَاهُ

غير أن الرواية المشهورة في خير مقتل طرفة هو أن الملك بعث مع الشاعر برسالة إلى عامله على البحرين يأمره فيها بقتله على هيئة معينة، ذلك أن طرفة كان قد هجا الملك بقوله:

لَعَمْرِكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ * لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نُوكَ كَثِيرُ
 فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو * رَغُونًا حَوْلَ قُبَيْتِنَا تُخُورُ

لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ * تَطِيرُ البَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ

وما خلا أمر الفتنة الكبرى وحروبها من أثر النساء، فقد كان أهل الشام أكبر سند لمعاوية بن سفيان على علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكان مما كتبت نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى معاوية وهو حينئذ والي الشام في صفة مقتل عثمان: "... فأتتني ابنة شيبه بن ربيعة فألقت بنفسها معي فوطئنا وطئنا شديدا وعرينا من حلينا فحلف رجال من أهل الشام أن لا يمسوا غسلا حتى يقتلوا علياً أو تفنى أرواحهم"⁽²¹⁾

ولا نقول بأن ابنة الفرافصة وحدها هي التي حركت جيوش أهل الشام وألبتهم على علي كرم الله وجهه، ولكن نقول إن أثر كلامها ووقعه كان على أهل الشام شديدا. وحين شيب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت برملة بنت أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنهم جميعا حمي يزيد بن معاوية وغضب لذكر أخته وحمل الأخطل على هجاء الأنصار (الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الأمر الذي لم يجرؤ عليه أحد قبله، وقد اعتذر عن هجاء الأنصار ليزيد كل من الفرزدق وجرير لمكانهم من رسول الله (ص)، فانتدب لهجائهم الأخطل التغلبي، وكاد يؤدي إلى جفوة بين معاوية والنعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهما، ولم يرض هذا الأخير حتى جلد الأخطل⁽²²⁾.

وحينما هزمت القيسية في مرج راهط ومرج راهط معركة شهيرة كانت بين مروان بن الحكم ومعه اليمانية وبين عبد الله بن الزبير ومعه القيسية اضطرب زفر بن الحارث واشتد جزعه وكان قد فر من المعركة التي قتل فيها ابناه، وقد يتوهم أن الذي جزع له زفر هو فقدة لابنيه وحسرتة على أنه لم يمنع عنهما القتل فحسب، ولكن القراءة المتأنية في شعره ربما تكشف عن خوفه من أحاديث النساء في الغد، واليك

الأبيات التي قالها يتوعد بها مروان ويسكت بها نساءه أو يسترضيهن وربما يسترضي نفسه النائرة:

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ * لِمَرَّوَانَ صَدَعَا بَيْنَا مُتَنَائِيَا
فَلَمْ يَرِ مِني زَلَةٌ قَبْلَ هَـذِهِ * فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِي وَرَائِيَا
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَاتُهُ * بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بِلَائِيَا
أَنْتَرُكَ كَلْبًا لَمْ تَنْلَهَا رِمَاحُنَا * وَتَذْهَبُ قَتْلِي رَاهِطٍ وَهِيَ مَا هِيَا
وَقَدْ تَنَبَّتُ الْحَضْرَاءُ فِي دَمَنِ الثَّرَى * وَتَبْقَى حَرَازَاتُ النَفُوسِ كَمَا هِيَا
فَلَا صَلُحَ حَتَّى تُدْعَسَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا * وَتَثَارَ مِنْ أَبْنَاءِ كَلْبِ نِسَائِيَا⁽²³⁾

والكلمة التي ختم بها الأبيات ذات دلالة واضحة على ما ذهبنا إليه من أن تفكيره واهتمامه كانا منصرفين إلى النساء. هذا مع التسليم بأنه استشعر العار بهروبـه وهو الفارس المقدم الذي يقتدي به عشيره من قيس.

وكان قائد جيش الزبيريين يومئذ مصعب بن الزبير الذي شهد له خصومه قبل أنصاره بالفضل والإقدام والجود، وكاد عبد الملك بن مروان يرجع فضل مصعب إلى أمر اقترانه باثنتين من أعظم نساء العرب وأشرفهن، فقد كان تحته على حد تعبير عبد الملك - عقيلتا قريش: سكينه بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة⁽²⁴⁾ رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم.

وقد يعلم الناس خير الخليفة العباسي الثامن المعتصم وتجريده لجيش جرار نصره لامرأة قالت (وامعتصماه) ذلك اليوم الذي خلده أبو تمام بقصيدته الشهيرة التي رأى بعض الناس أن مدارها على الجنس⁽²⁵⁾ كأهم يريدون بذلك أن يربطوا بينها وبين بواعت الحرب. على أن في القصيدة ظلالاً وصوراً مما ذهبوا إليه في مثل قوله:

وَبَرَزَةَ الْوَجْهَ قَدْ أَعَيْتَ رِيَاضَتُهَا * كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُوداً عَن أَبِي كَرِبِ

وقوله:

وما الحدود وإن أدمين من حسجل * أشهى إلى ناظر من خدها الترب
ولا ندري أي الأمرين أراد الشاعر بـ (حر الثغور) في قوله:
عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

ومن أكثر الأبيات دلالة على ما ذهبوا إليه قوله:

من بعد ما أشبوها واثقين بها * والله مفتاح باب المعقل الأشب
على أن المدينة قد استبيحت تماما كأنما أراد الفاتحون الانتقام لفتاة عمورية، حتى بدا
المنظر سمحا في عيون أبي تمام وغيره ممن نبا ذوقهم عن مثله:
سماجة غنيت منا العيون بها * عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وهكذا رأينا أن الحروب تقوم في كثير من الأحيان: رغبة في النساء اللائى
يقفن وراء الرجال في الحروب، أو في نساء أنخريات يكن من سبي الأعداء، أو رهبة من
أحاديث النساء عمن يتقاعسون عن القتال أو عن الانتقام ممن ينال من شرفهن قولا أو
فعلا. والله تعالى أعلم.

الهوامش

- 1- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق، إبراهيم الأبياني 1389 هـ - 1969م. مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ص 3570.
- 2- نفسه.
- 3- الزورني، شرح المعلقات السبع، مكتبة الرياض الحديثة، ص 177.
- 4- نفسه، ص 186.
- 5- سيرة ابن هشام، سلسلة تراث الإسلام، دار الفكر، بدون تاريخ، ج²، ص 68.
- 6- شرح المعلقات السبع، ص 185.
- 7- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951م، ج¹، ص 174 - 177.
- 8- الكامل للمبرد، دار العهد الجديد للطباعة، بدون تاريخ، ج¹، ص 87. الهامة: الرأس. حشأت وجاشت: اضطربت خوفاً.
- 9- المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، ط ثالثة، دار المعارف، 1964م. ص 155. النهدة من الخيل: الصغيرة السن القوية. الحسو: لون قريب من السواد.
- 10- نفسه
- 11- نفس المصدر، ص 165 - 166. الحز: القطع ويقع دائماً على الدوابر لفرارهم.
- 12- نفس المصدر.
- 13- سيرة ابن هشام، ج¹ ص 610.
- 14- نفسه، ص 629.
- 15- نفسه/ ج²، ص 16 - 17.
- 16- نفسه، ج²، ص 70.
- 17- نفسه، ج²، ص 84.
- 18- نفسه، ج²، ص 87.
- 19- الأغاني، ج¹¹، ص 3800.
- 20- نفسه، ج¹¹، ص 3801. النصف الخمار، والرخص اللين، وعتم نوع من الثمار.

- 21- العقد الفريد لابن عبد ربه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953م، ج 4 ، ص 301.
- 22- نفسه، ص 327.
- 23- نفسه، ص 346.
- 24- نفسه، ص 364.
- 25- عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط ثانية، الخرطوم 1993م، 2/4 ص 429.